الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة
واقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها
وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى
في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الاقضية و
الحكومات ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا يقع وان وقع فانما
يقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر
عليهم اناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة
من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق
على التقرب من الله وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق
وجزائي من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان
ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو
الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم
هديا من الصحابة اتفقت الكلمات في حقه على ذلكم وكان اكثر من خواطر القلوب
وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفوس
وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن اين اخذته فقال
من حذيفة اليماني وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك من الصحابة فمن
اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلعم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله
عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف
الشر

الشر لا يعرف الخير وفي لفظ اخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا
فيسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني
اسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين
وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر
الصحابة يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر باعداد
من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رض يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فيبرئه
عن ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان
يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله دأب علماء الاخرة لان القلب
هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء
منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق
في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون
طريق الحق افراد لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم فهم على مهل يمشون قصادا
الناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق
الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد
وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان
ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبها يتنزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء
الشفاء وبمنزلة من جعل مدة العمر صومه يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت
ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما
في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)